مجلّة جامعة عدن للعلوم الانسانيّة والاجتماعية
EJUA-HS Vol. 1 No. 4 (2020)
https://doi.org/10.47372/ejua-hs.2020.4.63
ISSN: 2708-6275

مقالة بحثية

جدلية البكاء والهجاء في شعر دعبل الخزاعي

نورا علي يسلم صحران [1]*، عوض أحمد حسن العلقمي [2]

[1] قسم اللغة العربية، كلية التربية - صبر، جامعة عدن، عدن، اليمن
[2] قسم اللغة العربية، كلية التربية - طور الباحة، جامعة عدن

* الباحث الممثل: نورا علي يسلم صحران؛ البريد الالكتروني: awadh.alalqami@gmail.com

استلم في: 04 اكتوبر 2020 / قبل في: 23 نوفمبر 2020 / نشر في: 31 ديسمبر 2020

المُلخّص

ينتمي دعبل الخزاعي إلى قبيلة خزاعة اليمنية المعروفة بولائِها العريق للإسلام وللرسول(ﷺ) ولآل البيت، فنشأ محبًّا لآل البيت، وأنشأ فيهم عددًا من القصائد أشهرها جميعًا التائية الكبرى[1]، صور فيها ما أصاب آل البيت من مصائب وأحداث[2]؛ بسبب أبناء عمومتهم من بني العباس[3]، فجاء أغلب شعره في مدح آل البيت وفي الهجاء خصومًا[4].

الكلمات الرئيسية: البكاء، الهجاء، آل البيت، آل العباس.

المقدمة:

الحمد لله ربِّ العالمين، والصّلاة والسَّلام على سيدنا محمد الأمين، وعلى آله الطيبين، أما بعد.. فمما دفعنا إلى البحث في شعر دعبل قوله[5]:

لا تَعْجبـــي يـــا سَـــلْمُ مِـــن رجُـــلٍ ضَـــحِكَ المَشِـــيبُ برأســـهِ فبكَـــى

بيت تداولته مجمل كتب البلاغة؛ لما فيه من بديع حسَن، يثير العجب، وكثيرًا ما أنشدناه بمناسبة وبغير مناسبة، فأحببنا أنْ ندرس شعر هذا الشاعر، وبخاصة البديع في شعره؛ لكثرته وطرافته، وقد قال عنه الدكتور مصطفى الشكعة: "على الرغم من تورط دعبل في الهجاء تورطًا يكاد يحجب فنه الجديد في الشعر العربي، فإنّ طبيعة الصناعة الصارخة والصور البهيجة التي عمد إلى اختراعها تعلن عن نفسها بصوت عالٍ مسموع"[6].

ولكنْ، لماذا يكاد الهجاء يحجب ابتكارات دعبل؟ وهو متورط في هذا الهجاء، كيف يكون ذلك؟!!. فأخذنا نتتبع حياة الشاعر وشعره في الديوان، وفي كتب التراجم وكتب الأدب وتاريخه، وكان أكثر ما قرأناه فيها أنّهم يبدأون الحديث عنه بقولهم: إنّه شاعر هجّاء خبيث اللسان بالفطرة[7]، وإنّه "موسوم بهجاء الخلفاء"[8]، فعدنا إلى شعره نقرأه وكذا الدراسات عنه، فوجدنا أكثر شعره مدحًا ورثاءً في آل البيت، وهجاءً في خلفاء بني العباس، فعدلت عن الكتابة في بديع الشاعر وصنعته، إلى الكتابة عن الرثاء والهجاء في شعره، وأجمعَ المؤلفون على مصداقية عاطفته ورقته في الرثاء، وقسوته في الهجاء.

فحصرنا البحث في رثاء آل البيت، وهجاء بني العباس في شعر دعبل؛ للكشف عن العلاقة الجدلية بين الغرضين، وللإجابة عن السؤال الآتي: فهل كان دعبل هجّاءً بفطرته أم أنّ لهجائه مسوغات أخرى؟

بدأنا البحث - بعد المقدمة – بتمهيد، ثم وقفنا عند شواهد شعرية في رثاء أل البيت، وأخرى في هجاء الخلفاء العباسيين؛ لتبيان العلل والمسوغات في نظمه في الغرضين. ووقفنا من غير إسهاب عند بعض مظاهر التكرار - الملفتة في رثائه - التي اتكأ عليها الشاعر لإقامة توازيات يرفد بها القصيدة موسيقيًّا ودلاليًّا، ثم كانت الخاتمة وبعدها سرد بالمراجع والمصادر، وملخص باللغة الإنجليزية.

---

[1]- يُنظر: الشعر والشعراء في العصر العباسي، د.مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت، ط6، 1986م، 326.
[2]- يُنظر: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط8، 318 (د.ت)، 320.
[3]- يُنظر: التاريخ الإسلامي، 5، الدولة العباسية، محمود شاكر، المكتب الإسلامي، بيروت، 1421هـ - 2000م، ط6، 5/1.
[4]- يُنظر: تاريخ الأدب العربي، حنّا فاخوري، دار اليوسف، بيروت، (د. ط)، (د.ت)501.
[5]- ديوان دعبل بن علي الخزاعي، تحقيق: عبد الصاحب عمران الدجيلي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1972م، 249.
[6]- الشعر والشعراء في العصر العباسي، 335.
[7]- يُنظر: كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق: د. إحسان عباس، د. إبراهيم السّعافين ، الأستاذ. بكر عباس، دار صادر، بيروت، ط3، 1429هـ - 2008م، 20/ 59. و موسوعة شعراء العرب، د. يحي شامي، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1996م، 2/ 592. وتاريخ الأدب العربي، 499. وتاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، 318. والشعر والشعراء في العصر العباسي، 325.
[8]- كتاب الأغاني، 78/20.

التمهيد:

قال دعبل يفخر بشعره[9]:

نَعَوني و لمّا يَنعَني غيرُ شامتٍ ... و غيرُ عدُوٍّ قد أصيبتْ مَقاتِلُهْ

يقولون إنْ ذاقَ الرّدَى ماتَ شعرُهُ ... وهيهاتَ عمرُ الشعرِ طالتْ طوائلُهْ

سأقضي ببيتٍ يَحْمَدُ الناس أمرُهُ ... و يكثرُ من أهلِ الرّوايةِ حامِلُهْ

يموتُ رديُّ الشعرِ من قبلِ أهلِهِ ... و جيّدُهُ يبْقى و إنْ ماتَ قائلُهْ

حقاً لهو "قول سديد"[10] ما قاله دعبل بن علي الخزاعي، يموت الشاعر ويبقى شعره، فقد مات دعبل ولم يمت شعره؛ لأنّه من جيد الشعر، تحدى الزمن، على الرغم من محاولة إضاعة هذا الشعر وإماتته[11]، من نحو قوله في الشيب والشباب[12]:

لا تَعْجبي يا سَلْمُ مِن رجُلٍ ... ضَحِكَ المَشِيبُ برأسِهِ فبكَى

قد كانَ يَضحكُ في شبِيبَتِهِ ... و أتى المَشِيبُ فقلّما ضَحِكَا

صار قوله هذا من شوارد الأمثال، وبالتحديد البيت الأوّل (لا تعجبي يا سَلْمُ ...)؛ إذ فتح له باب الشُّهرة على مصراعيه وصار من الشعر المغنّى[13] وكذلك "نال شهرة واسعة عند جمهور النقاد"[14] والبلاغة، لما فيه من لمسة بيانية[15].

وله قصيدة ثائية طويلة تجاوزت المائة بيت، في مدح آل بيت الرسول(ﷺ)، إنّها من أشهر شعره[16]ومطلعها[17]:

تَجاوَبنَ بالإرنانِ و الزَّفراتِ ... نوائحُ عُجْمُ اللفظِ و النَّطقاتِ

وهي تُعد من الشعر الخالد[18] و "من أجمل وأمتع الشعر العربي الذي قيل في آل بيت الرسول(ﷺ)"[19].الذين "آثرهم بالقوافي التائية"[20]؛ إذ له تائية أخرى قال فيها[21]:

دَعْ عنكَ ذِكرَ زمانٍ فاتَ مطلبُهُ ... واقذِفْ برجلِكَ عن متنِ الجهالاتِ

و اقصِدْ بكلِّ مديحٍ أنتَ قائلُهُ ... نحو الهُداةِ بني بيتِ الكراماتِ

وقال في تائية ثالثة[22]:

إنّ النَّشيدَ بحبِّ آلِ مُحمّدٍ ... أزْكى و أنْفعُ لي من القُنَيَاتِ

فاحشُ القَصيدَ بهمْ وفرّغْ فيهمُ ... قلباً حشوتَ هواهُ بالّلذاتِ

نعم .. فقد انشغل دعبل بحب آل بيت رسول الله (ﷺ) والتزمه[23]، وترك ما وراءه من اللهو واللذات، فأكثر المدح فيهم، وكذلك الرثاء اللذين حفلا بالعاطفة الصادقة؛ و "نحسّ صدقاً في قول دعبل حين يجعل حبّ آل المصطفى شغلاً عن لذاته وقنياته"[24]، فمما قاله فيهم[25]:

لا أضحكَ الله سِنَّ الدّهرِ إنْ ضحِكتْ ... و آلُ أحمدَ مظلومونَ قد قُهِرُوا

---

[9]- ديوان دعبل، 255-256.
[10]- الشعر والشعراء في العصر العباسي،325.
[11]- يُنظر: مقدمة ديوان دعبل، 56.
[12]- ديوان دعبل، 249.
[13]- يُنظر: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، 319.
[14]- الشعر والشعراء في العصر العباسي، 319- 320.
[15]- يُنظر: المصدر نفسه، 320.
[16]- يُنظر: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، 320، ويُنظر: الأدب العباسي، الشعر، د. سامي يوسف أبو زيد، دار المسيرة، عمّان، ط1، 1432هـ - 2011م، 173.
[17]- ديوان دعبل، 124.
[18]- يُنظر: الشعر والشعراء في العصر العباسي ، 326.
[19]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[20]- نفسه، الصفحة نفسها.
[21]- ديوان دعبل، 146.
[22]- المصدر نفسه، 146-147.
[23]- يُنظر: الأدب العباسي، الشعر، 173.
[24]- الشعر والشعراء في العصر العباسي، 326.
[25]- ديوان دعبل، 186.

مُشرّدون نُفوا عــن عُــقْــــرِ دارهـــمُ كأنّهمْ قـــد جَنَــوا مَا لَيْــسَ يُغْتــفَــرُ

وقال في علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)[26]:

سِـــنـــانُ محمّـــدٍ في كـلِّ حـــربٍ إذا نهَلــتْ صـــدورُ السَّـمهـــريّ

و أوّلُ مَــنْ يُجـيـــبُ إلــى بِـــــرازٍ إذا زاغَ الكـمـــيُّ عـــن الكـمـــيّ

جدلية البكاء والهجاء في شعر دعبل الخزاعي

إنّ دعبلاً كغيره من الشعراء فقد نظم في أكثر من غرض شعري، إلا أنّ أغلب شعره في مدح أل البيت وفي الهجاء خصوماً[27]، وهنا تكمن قضية دعبل الخزاعي التي عاش عمره يجاهر بها ولا يخشى سلطاناً أو أميراً أو من له نفوذ، فقد كان شاعراً ملتزماً صاحب قضية[28] وقضيته تتبلور في محورين:

أوّلهما: "التزم دعبل بحب آل البيت، وصوّر بشعره موقفاً سياسيا فيه تمجيد لآل البيت ووصف أحوالهم المحزنة وما لحق بهم من ظلم"[29].

ثانيهما هجاء خصومهم السياسيين من الخلفاء من بني العباس؛ فهم الذين صادروا ثورات آل البيت في تقويض الحكم الأموي، وانحرفوا عن مسار تلك الثورات، بعد أنْ ركبوا موجتها رافعين شعار أل البيت، وما إنْ تمّ القضاء على الحكم الأموي، حتى "استأثروا وحدهم بالسلطة دون بني عمومهم من أبناء أبي طالب وأزاحوهم من وجههم، بل ومن جانبهم"[30].

ولعل أقرب قصيدة صور فيها الخزاعي حبّه لآل البيت، ما قاله في تائيته المشهورة[31]. وهي في بنيتها تقليدية؛ إذ جاء بها على غرار المطوّلات، ذات مقدمة ومتعددة الموضوعات، غير أنّها تسير في خط نفسي واحد، فمن مقدمتها قوله[32]:

تَجَـــــاوَبنَ بـالإرنـان و الزَّفـــرات نوائحُ عُجْـــــــــمُ اللفظِ و النَّطقاتِ

يـخـيّـرنَ بـالأنـفـاسِ عـن ســرّ أنـفسٍ أســـارى هـوىً مـاضٍ و آخـرَ آتِ

ينفتح لك أوّل مصراعي القصيدة على النوائح والنوادب المترددة في فضاء القصيدة منطلقاً من قوله (تجاوبن)، فبه يستشرف القارئ على موكب جنائزي وبكاء جماعي، فالشاعر يبكي الدّيار الخالية من أهلها قائلاً[33]:

على العَرَصـــاتِ الخـاليـاتِ من المهـا ســلامُ شــجٍ صــبٍّ على العَرَصـــاتِ

فعَهـدي بهـا خُضْــر المعـاهـدِ مـألفـاً من العَطِراتِ البيضِ و الخفـــــراتِ

لقد وظف المقدمة الطللية البكائية للانطلاق في المدح والرثاء والندب واللطم تعبيراً عن ما يجيش في صدره من ألمٍ وحسرة وأسى على حال آل البيت، مع أنّ الخزاعي لا ينقاد وراء نهج القصيدة التقليدية من حيث بنائها الفني وإطارها العام في معظم شعره، بالكاد يستحضر مقطع المقدمة في بعض شعره، على نحو ما فعل في هذه المطولة؛ إذ عمد إلى المقدمة الطللية للقصيدة القديمة، وحمّلها تجربته الشعرية؛ ذلك أنّها النموذج الفني الذي يستوعب مشاعره المتأججة في صدره، المُلحة على الفكاك من مكامن النفس المتألمة المتأزّمة المتحسرة، إحساس اختتم به المقدّمة بقوله[34]:

فكـــــمْ حســـراتٍ هاجَهـــا بمُحسّرٍ وقـــوفي يومَ الجمـــعِ مـــن عرفاتِ

ألمْ ترَ للأيـامِ مـا جرّ جَـــوْرُهـــــا على النـاسِ من نقْصٍ وطولِ شـتـاتِ

ومِن دُوَلِ المُسْـــتَـهْتِرين و مَن غَـدَا بِهـــــمْ طالِباً للنَّـــورِ في الظّلَـــمـــاتِ

مستخدماً هذه الثلاثة الأبيات بوصفها جسراً لفظياً ومعنويّا لينطلق من بعده في سرد ما أصاب آل البيت من الأمويين والعباسيين هاجيًا، وبعد انتهاء الشاعر من الهجاء، يأخذ في مدح علي(رضي الله عنه)، وذكر فضائله، إلى بكائياته[35]:

بـكـيـتُ لـرسـمِ الـدارِ مـنْ عـرفـاتِ و أذْرَيـتُ دمـــــعَ العينِ بـالـعَبَرات

---

[26]- المصدر نفسه، 314.
[27]- يُنظر: تاريخ الأدب العربي، 501.
[28]- يُنظر: شعر دعبل الخزاعي بين توهّج العاطفة وعمق الانتماء، د. ستار عبدالله جاسم، مجلة مركز دراسات الكوفة، مجلة فصلية محكّمة، العدد 83، 2015م، 219.
[29]- الأدب العباسي، الشعر، 173.
[30]- يُنظر: التاريخ الإسلامي، الدولة العباسية، 5/1
[31]- يُنظر: الأدب العباسي، الشعر، 173.
[32]- ديوان دعبل، 124-125.
[33]- المصدر نفسه، 125.
[34]- ديوان دعبل، 125، 126.
[35]- المصدر نفسه، 131.

يستحضر أطلال الجاهليين في ثنايا القصيدة، بوصفها وسيلة ليعود إلى بكائه مصدِّرا البيت بالفعل (بكيت) ومرادفاته في بقية البيت، مستخدما تقنية لفظية هي التصريع؛ ليقيم تجاوباً صوتياً بين عروض البيت وضربه، مثل ذلك التجاوب الذي أوجده في مطلع القصيدة؛ لشد انتباه المتلقي، ثم يواصل قائلاً[36]:

وفكَّ عُرى صبري وهاجتْ صبابتي رسومُ ديارٍ أقفرتْ وعراتِ

مدارسُ آياتٍ خلت من تلاوةٍ و منزلُ وحيٍ مُقفرُ العرصاتِ

لآلِ رسولِ اللهِ بالخَيْفِ من مِنىً و بالرُّكنِ و التعريفِ والجمراتِ

ديار عليّ و الحسينِ و جعفرٍ و حمزةَ و السجّاد ذي الثَّفِناتِ

منازلُ وحيُ الله ينزلُ بينها على أحمدَ المذكورِ في السوراتِ

ويأخذ في تصوير قدسية هذه الأماكن وما كانت عليه أيام الرسول(ﷺ)، قائلًا[37]:

مَنازلُ قومٍ يُهْتدَى بِهُداهُمُ فتُؤْمَنُ مِنهُمْ زلّةَ العَثَراتِ

منازلُ كانتْ للصلاةِ و للتُّقى و للصَّومِ و التّطْهيرِ و الحَسَناتِ

منازلُ جبريلُ الأمينُ يَحلّها من الله بالتَّسْلِيمِ و الرَّحَماتِ

منازلُ وَحْيُ الله مَعدنِ عِلْمِهِ سَبيلِ رَشَادٍ واضِحِ الطّرُقاتِ

لجأ الشاعر إلى التكرار - تكرار لمنازل الرسول(ﷺ) - مصدرًا به أكثر من بيت؛ لشد انتباه المتلقي بقوة وتوجيهه، لاستعادة ذلك الماضي الأثير المقدس، فالشاعر بهذا التكرار جعل اللحظة البكائية محققة ضمن إطار مكاني، وبه أسقط على المكان هالة قدسية، تلك الهالة التي كانت تكتنف المكان أيام الرسول(ﷺ)، وقد أخذت تتلاشى، لهذا يستوقف المتلقي عند تلك المنازل والديار التي غدت أطلالًا، إذ يقول[38]:

قِفَا نسألُ الدارَ التي خفّ أهلُها متَى عَهْدُها بالصَّومِ والصَّلواتِ

وقفة ثالثة عند الديار المهجورة، وبقوله (قفا) يوجّه المتلقي إلى وقوف امرئ القيس وبكائه في قوله[39]:

قِفا نبْكِ من ذكْرى حبيبٍ ومنزلِ بسِقْطِ اللِّوى بينَ الدَّخولِ وحَوْمَلِ

كما استوقف امرؤ القيس صاحبيه، يستوقف دعبل صاحبيه للسؤال (متى عهدها بالصوم والصلواتِ) سؤال يبرز به أسفه، ويرفض به ما آل إليه الحال لآل الرسول(ﷺ) ومنازلهم، ويتألم ويدعو لقبر النبي بالسقيا[40]:

سقَى اللهُ قبراً بالمدينةِ غيثُهُ فقد حلَّ فيهِ الأمنُ بالبركاتِ

نبيّ الهُدى صلّى عليه مليكُهُ و بلّغ عنّا روحَه النَّحفَاتِ

وصلّى عليهِ اللهُ ما ذرّ شارقٌ و لاحتْ نجومُ الليلِ مبتدراتِ

ومباشرة يستحضر فاطمة الزهراء ابنة الرسول(ﷺ) وأقرب الأهل إليه، وأم الحسين[41]:

أفاطمُ لو خِلْتِ الحسينَ مجدّلاً و قد مات عطشاناً بشطِّ فراتِ

أفاطمُ قومي يا ابنةَ الخيرِ واندبي نجومَ سماواتٍ بأرضِ فلاتِ

التفاتة خلق بها نغمة خطابية مؤثرة تعين على استقطاب المتلقي من خلال النداء، وبه يعيدنا إلى البكاء مرة أخرى باستنهاض فاطمة من قبرها لتبكي أبناءها، مكررًا النداء، لتجسيد حالة الأسى والحزن اللتين تكتنفانه.

(36)- نفسه، 131.
(37)- نفسه، 132.
(38)- ديوان دعبل، 133.
(39)- ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط4، (د.ت)، 8.
(40)- ديوان دعبل، 135.
(41)- المصدر نسه، الصفحة نفسها.

ثمّ يعمد إلى تعديد قبور آل البيت المنتشرة هنا وهناك، ويذكر فضائل أصحاب القبور حتى يعلن حبه لهم قائلًا [42]:

مَـلامـك فـي أهـلِ الـنَّـبـيِّ فـإنَّـهـمْ أحـبّـايَ مـا عَـاشـوا وأهـلُ ثِـقـاتـي

فـيـاربِّ زدنِـي مِـن يَـقِـيـنِـي بصِـيـرَةً و زِدْ حُـبَّـهـم يـا ربِّ فـي حسـنـاتِـي

و"ليس ثمة شكٍّ في أنّ دعبلاً كان يذوب حبًّا في آل رسول الله (ﷺ)"[43]. ويقول أيضًا[44]:

ألـمْ تـرى أنّـي مِـن ثـلاثـيـن حِـجَّـة أروحُ و أغْـدُو دائـمَ الـحَسَـرات

أرى فـيـئـهـم فـي غـيـرهـم مـتـقسـمـاً و أيـديهـم من فيئهم صـفـرات

وأخيراً يعمد إلى موازنة بين حال آل الرسول(ﷺ)، وحال آل الولاة، إذ يقول[45]:

بَـنـاتُ زِيـادٍ فِي الـقُصُـورِ مَصُـونـة و آل رسُـولِ اللهِ فـي الـفَـلَـوات

ويقول[46]:

ديـارُ رسـولِ اللهِ أصْـبَـحـن بـلـقـعًـا و آلُ زيـادٍ تَسـكُنُ الحُجـرات

وآلُ رسـولِ اللهِ تـدْمَـى نُـحُـورَهُـمْ و آلُ زيادٍ آمنـوا السَّـرَبات

وآلُ رسـولِ اللهِ تُسْـبَـى حَـرِيـمُـهـمْ و آلُ زيادٍ رَبَّـةَ الحَـجَـلات

وهذه المفارقات هي غصة في حلق الشاعر التي تكاد تخنقه وتؤرقه، معتمدًا في تصويرها على بنية التوازي العمودي القائم على التكرار، لرصد الأحوال المتناقضة بين الخصمين، فالتكرار دلالة نفسية تساعد على إثراء النص وتوحي بمقاصد الشاعر وحالته الشعورية،

يصل في الأخير إلى قناعة، أنّه لا حياة لمن تنادي وتحدّث، فقال متأسفًا[47]:

أحـاول نقـلَ الشَّـمسِ من مُسْـتقرّهـا و إسـمـاعَ أحـجـارٍ مـن الصَّـلَـدّات

فَمن عـارِفٍ لم يَنْتَفِعْ و مُعـانِـدٍ يميلُ معَ الأهْـواءِ والشَّـهَـوات

قُصـارَايَ مـنـهـمْ أنْ أعُوبَ بِـغُصّـةٍ تَردّدُ بيـنَ الصّـدرِ واللّهَـوَات

وإذا أعدنا قراءة القصيدة نجد جلّها طللية بكائية، يقف فيها ويستوقف ويبكي ويستبكي، فالأطلال والديار والمنازل والقبور هي محور القصيدة، إذ أحال كل الديار والأمكنة والقبور إلى أطلال رافقته طول القصيدة، ويمكن القول إنّه قام بتعميم تجربة الطلل في القصيدة من بدايتها حتى نهايتها، فهو لم يستخدم المقدمة الطللية تقليداً فنيًّا بل القصيدة كلها طلل بكائي، وهذا يوحي بأنّ الشاعر مشحون بحبّ آل البيت، وكاره لواقعهم.

ووجدنا أيضًا أنّ التائية قد تخللتها أبيات في هجاء الأمويين قال فيها[48]:

فكـمْ حسـراتٍ هاجَهـا بمُحسِّـرٍ وقـوفـي يـومَ الجمـعِ من عرفـاتِ

ألـمْ تـرَ للأيامِ مـا جـرّ جَـوْرُها على النـاسِ من نقْصٍ وطولِ شـتـاتِ

و مِـن دُوَلِ الـمُسْـتَـهْـتِـرين ومَـن غَـدَا بِهـمْ طالِباً للنُّـورِ فـي الظّلُماتِ

فكيْفَ و مِنْ أنّى يُطـالِبُ زُلْفَـةً إلى اللهِ بعْدَ الصَّـوم و الصّـلـواتِ

سِـوى حُبِّ أبناءِ النَّبيِّ و رهْطِـهِ و بُغْضِ بني الزَّرْقاءِ و العَبَـلاتِ

و هِنْـدٍ و مـا أدَّتْ سُـمَيَّـةُ وابْنُها ألـو الكفـرِ في الإسـلامِ و الفَجرَاتِ

(42)- نفسه، 140.
(43)- الشعر والشعراء في العصر العباسي ، 326.
(44)- ديوان دعبل، 141.
(45)- المصدر نفسه، 142.
(46)- نفسه، الصفحة نفسها.
(47)- نفسه، 145.
(48)- نفسه، 126.

هُمُ نقضُـوا عَهدَ الكتـابِ وفرْضَـــهُ و مُحْكَمَـــهُ بالزُّورِ و الشُّبُهـــــاتِ

و لم تكُ إلا مِحْـــنَـــةً كشَـفتْهُـــمُ بـدعـوى ضـــلالٍ مـن هَـنٍ وهـنَـاتِ

تُـراثٌ بـلا قُـربَـى ومـلْـكٌ بـلا هُـدى و حُكْمٌ بلا شـورى، بغـــير هُداةِ

رَزَايـا أرَثْـنَـا خُضْـــرَةَ الأفْقِ حُـمْـرَةً و ردّتْ أجـاجًـا طـعْـمَ كـلِّ فُـراتِ[49]

فالخزاعي في أثناء رثائه وبكائه الحار الزفرات المتصاعدة من نفس مليئة بالحسرات، كان يُنفِّس عن غضبه أيضًا بهجاء من تسببوا بعذابات آل البيت، وهذا هو المحور الثاني لقضيته التي كرس لها جُلّ شعره.

كما أسلفنا أنّ قضية الخزاعي تكمن في محورين، يمثل أحدهما حبّه لآل البيت، والآخر بغضه لخصومهم، وهذا ما يقرره ديوانه، فمن ينظر إليه يجد أنّ أغلب شعره في مدح آل البيت وفي الهجاء خصوماً[50]، فهو يعيش صراعا نفسيًّا بين الماضي والواقع، بين ما كان عليه أحبابه وبين واقع يتحكّم به خصومهم بنو العباس، الذين صادروا ثورات آل البيت، التي كان لها الدور الأكبر في تقويض الحكم الأموي، وانحرفوا عن مسار تلك الثورات، بعد أنْ ركبوا موجتها رافعين شعار آل البيت، فما إنْ تمّ القضاء على الحكم الأموي، حتى "استأثروا وحدهم بالسلطة دون بني عمومهم من أبناء أبي طالب وأزاحوهم من وجههم، بل ومن جانبهم"[51]، فهم في نظر الخزاعي غاصبي حُكْم آل البيت؛ ومن هنا كان الخلفاء العباسيون في مرمى سهام هجائه، من نحو قوله[52]:

يـا أمَّـةِ السُّـوءِ مـا جـازَيْـتِ أحمـدَ عن حُسْـنِ البلاءِ على التنزيـل والسُّـوَر

خلَفْتُمُـــوه على الأبنـاءِ حينَ مضـى خِلافـة الـذّنـبِ في أبقـارٍ ذي بقـــرِ

و لـيـسَ حـيٌّ مـنَ الأحْـيـاءِ نـعْـلَـمُـهُ من ذي يمـانٍ ومِن بَكْرٍ ومن مُضَـرِ

إلا و هم شُـركاءُ في دمائِـــهـــــمُ كمَا تَشَارَكَ أيْســـارٌ على جُـــزُرِ

قَتْلًا و أسْـــرًا و تحْرِيقًـا ومنْهبـةً فِـعْـلَ الـغُـزاةِ بـأرضِ الـرُّومِ و الـخَـزَرِ

أرَى أمَـيَّـةَ مَـعـــذُورينَ إنْ قتـلُـوا و لا أرى لبَنِي العبَّـاسِ من عُـــذْرِ

بل إنّه يَعذر بني أُميّة؛ لما بينهم وبين بني هاشم من عداوة قديمة على عكس بني العباس فهم أبناء عم وكلهم من بني هاشم، فلا عذر لهم فيما فعلوه في آل البيت[53] ونكثهم العهود التي بينهم؛ لهذا "تخصص في هجاء ملوك بني العباس"[54]. وبالعودة إلى القصيدة تقرأ قبل هذه الأبيات مباشرة قوله[55]:

لَولا تَشَـاغُـــلُ نَفسـي بالأَلَى سَـلَفُوا من أهْـــلِ بيتِ رسـولِ اللهِ لَمْ أقـــــرِ

و فـي مَـوالِـيـكَ لـلـمـحـزونِ مشْـــغَـلـةً من أنْ تَبيتَ لمفْـــقُـــودٍ على أثـــــرِ

كم مِنْ ذِراعٍ لَهُـــــــمْ بـالطّفِّ بـائِنَـةٍ وعـارِضٍ مِن صَـــعـيـدِ التُّربِ مُـنْـعَفِرِ

أنسَـــى الحســـينَ ومَسـرَاهُم لِمَـقْـتَلِـهِ و همْ يقولـــون هـــــذا سيّد البشـــرِ

يـا أمَّـةِ السُّـوءِ مـا جـازَيْـتِ أحمـدَ عن حُسْـنِ البلاءِ على التنزيـل والسُّـوَر

ويرى أنّ بني العباس شرّ الناس، فهم ظلمة وقليلوا خير؛ إذ قال[56]:

وعـاثَـت بنو العبـاسِ في الـدِّين عَيْثَـةً تَحَكّـــمَ فيـــه ظالـــمٌ و ظـنيـنُ

[49]- الزرقاء والعبلات وهند وسمية هن أمهات خلفاء بني أمية وقادة ولاتهم، يُنظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[50]- يُنظر: تاريخ الأدب العربي، 501.
[51]- يُنظر: التاريخ الإسلامي، الدولة العباسية، 5/1
[52]- ديوان دعبل، 196- 197.
[53]- يُنظر: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول،13.
[54]- الشعر والشعراء في العصر العباسي، 327.
[55]- ديوان دعبل، 196.
[56]- المصدر نفسه، 289.

وكان إبراهيم بن المهدي - أخو هارون الرشيد - قد خرج على المأمون، وبايعه الناس خليفة على بغداد في سنة201 للهجرة [57]، فقال دعبل[58]:

إنْ كانَ إبراهيـــمُ مُضـطَلِعًا بِهـــا فَلْتَصْـلَحَـــنْ من بعـــدِهِ لِمُخارقِ

و لْتَصْلَحَنْ من بعـــدِهِ للمَـــارقِ و لْتَصْـلَحَـــنْ من بعـد ذاكَ لزَلزَلٍ

أنى يكـــونُ و ليسَ ذاكَ بكـائِنٍ يـرِثُ الخلافـةَ فاسِـقٌ عن فاسِـقِ

و"كان إبراهيم بن المهدي مغنيًّا عازفًا مجيدًا"[59]، فقرنه الشاعر بأشهر أهل الغناء في عصره (مُخارق وزَلزَل، والمارق)، من باب التهكُّم والسخرية، فإذا كانت الخلافة تصلُح لإبراهيم، فهي أيضًا صالحةٌ لهؤلاء المغنين.

وقال أيضًا عن البيعة[60]:

بَـيِّـعـةَ إبـراهـيـمَ مشْـؤُمَـةَ تُـقْـتَـلُ فـيهـا الخَـلْـقُ أو تُقْحَـطَ

وقال في المعتصم[61]:

بكَى لشَـتاتِ الدِّيـنِ مُكتَئِبٌ صـبُّ وفـاضَ بفرْطِ الـدَّمعِ من عَيْنِـهِ عَرْبُ

وقـفَ إمامٌ لـم يَكُـنْ ذا هِـدَايـةٍ فلَيْسَ له دِينٌ و لَـيـسَ لـهُ لـبُّ

ملوكُ بني العبَّاسِ في الكُتُبِ سـبْعَـةَ و لم تأتِنَا عنْ ثامِنٍ لَهُـمُ الكُـتـبُ

كـذلـكَ أهـلُ الكهْفِ في الكهْفِ سَـبعـةَ كـرامٌ إذا عُـدُّوا وثـامِـنهُـمْ كـلـبُ

و إنّي لأعلي كلبَهُمْ عنكَ رِفْعـةَ لأنّـكَ ذو ذنْـبٍ و ليـسَ لَـهُ ذنـبُ

لقدْ ضَـاعَ مُلكُ الناسِ إذْ سـاسَ مُلْكَهُمْ وصَـيفٌ و أشْـنـاسٌ وقَـد عَظُمَ الكربُ

و فَضـلُ بنُ مروانٍ سـيتْلُمُ ثَلْـمـةَ يظَلُّ لها الإسـلامُ ليسَ لـهُ شِـعْـبُ

و هَـمُّـكَ تُرْكيٌّ عَليـهِ مَهـانَـةَ فـأنـتَ لـهُ أمٌّ و أنـتَ لـهُ أبٌ

وصيف وأشناس غلامان من الأتراك الذين جلبهم المعتصم ليستعين بهم[62]، وكان المعتصم أكثر من أوجعهم دعبل في هجائه حتى أهدر دمه،

والملاحظ أنّه بدأ القصيدة بالبكاء على حال الدين، واصفاً نفسه بالمكتئب الصّبّ، وهنا إشارة إلى حبّه لآل البيت وحنينه، وما آل إليه حالهم، معنى مختزل في قوله (مكتئب صبٌّ). فهو غالبًا ما يقرن هجاءه بالبكاء، ورثاءه بالهجاء، كما ورد في تائيته المشهورة.

مع أنّ القصيدة في الهجاء إلا أنّه بدأها بالبكاء، توافقاً مع إحساسه العام المسيطر عليه، ومع قضيته التي حملها على عاتقه، فلا ينساها أو يفرقها حتى في قصائد الهجاء، ذلك أنّ بني العباس هم سبب حياة التشريد والبؤس التي يعيشونها آل البيت، ومن هنا كان ارتباط الغرضين ببعضهما.

ولم يسلم منه الخليفة المعتصم حتى بعد وفاته، إذ قال فيه[63]:

قـد قُـلـتُ إذْ غَـيَّـبُـوهُ و انصَـرفُـوا في شَـرِّ قَـبـرٍ لشَـرِّ مَدفُونِ

وقال بعد موته وتولي ابنه الواثق الخلافة[64]:

خَليفَـةٌ مـاتَ لـمْ يحَزنْ لـهُ أحـدُ و آخـرُ قـامَ لـمْ يَـفـرَحْ بـهِ أحَـدُ

(57)- يُنظر: التاريخ الإسلامي، الدولة العباسية، 183. و الشعر والشعراء في العصر العباسي، 331.
(58)- ديوان دعبل، 244.
(59)- الشعر والشعراء في العصر العباسي، 333.
(60)- ديوان دعبل، 219.
(61)- المصدر نفسه، 102- 103.
(62)- يُنظر: المصدر نفسه، هامش 103
(63)- المصدر نفسه، 299.
(64)- نفسه، 168.

فمَرَّ هـذا ومَرَّ الشَّـــــــؤمُ يتبعُـهُ و قـامَ هـذا فـقـامَ الـوَيـلُ و الـنَّـكّـدُ

يترجم هذان البيتان وما تقدم من أبياتٍ موقفه من نظام العصر السياسي. فشعره الذي يصور ما أصاب آل البيت في هذا العصر، و فيما تقدمه من العصر الأموي، وهجاؤه لخصومهم، إنما يبرزان موقفه السياسي الرافض موقف بني العباس - خاصة - من أبناء العمومة من آل البيت، واستنكارًا لما آل إليه حالهم بسببهم؛ إذ "تكاد تنحصر أهاجيه في خلفاء بني العباس، وكبار رجالات الدولة"[65]، و "كان يميل إلى الهجاء السياسي القاسي"[66].

في ظاهرة التكرار:

يقول ابن رشيق القيرواني في هذا الباب: "للتكرار مواضع يحسن فيها ومواضع يقبح فيها"[67]، ثم عمد إلى تعديد تلك المواضع، فمنها "على وجه التوجع إنْ كان رثاءً وتأبينًا"[68]، ومنها "في الهجاء ... ويقع أيضًا على سبيل الازدراء والتهكم والتنقيص"[69].

وأول ما يستلفت قارئ شعر دعبل بروز ظاهرة التكرار؛ إذ اتكأ الشاعر على هذه الظاهرة الصوتية وغيرها من الظواهر الإيقاعية التي تدعم معانيه وتعمّقها، فمنها التصريع، وهو فن التزمه معظم الشعراء القدماء والمحدثين؛ إذ يُعدّه قدامة من علامات بنية الشعر[70]، ومما قاله في أهمية التصريع "إنّ الفحول والمجيدين من الشعراء القدماء والمحدثين يتوخون ذلك، ولا يكادون يعدلون عنه، وربما صرعوا أبياناً أُخر من القصيدة بعد البيت الأول، وذلك يكون من اقتدار الشاعر وسعة بحره"[71]، ويرى ابن رشيق القيرواني أنّ التصريع في غير موضع من القصيدة "دليل على قوة الطبع وكثرة المادة"[72] وهذا ما كان من دعبل إذ عمد إلى التصريع في غير موضع من نحو قوله في المطلع[73]:

تَجَـــــاوَبنَ بـالإرنـان و الزَّفـــــرات نوائحُ عُجْـــــــــمُ اللفظِ و النَّطقـاتِ

فالتصريع يُضفي على القصيدة تماثلًا وزنيًّا وإيقاعيًّا، ويُصور التجاوب الموسيقي الداخلي القائم على التماثل[74]، وذلك من خلال المواقع المتقابلة والمتوازنة بين لفظتي العروض والضرب، بين (الزفرات و النطقات)، فالتصريع كما بيّنه القدماء هو"ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه تنقص بنقصه وتزيد بزيادته"[75].

لقد أوجد الشاعر بتصريعه تجاوبًا إيقاعيًّا يؤازر التجاوب الدلالي في سياق البيت، المتمثل لفظيًّا بقوله (تجاوبن) المتصدر للبيت المتآزرة ألفاظه دلاليًّا، فلفظة الإرنان - أي صوت البكاء- وكذلك الزفرات تتجاوبان مع ألفاظ الشطر الثاني من البيت، وعليه يكون دعبل قد تمكن من ناصية قصيدته البكائية الرثائية، وأحدث توتراً على مستوى الإيقاع والدلالة؛ إذ منح البيت رنة موسيقية متساوية تستفز أذن القارئ، وعكس الهاجس الانفعالي المسيطر على الشاعر ليس في القصيدة فحسب، بل في حياته كلها، المتمثل بحبه لآل البيت وفجيعته بما أصابهم من ريب الدهر وما آلت إليه حالهم، فرسَّخ دلالة البكاء وعمّقها، ذلك البكاء الذي أشاعه في القصيدة، مشيرًا إلى ذلك القيرواني؛ فأجود التكرار ما كان في باب الرثاء؛ "لمكان الفجيعة وشدة القرحة التي يجدها المتفجع"[76].

وكرر الشاعر التصريع في البيت الثامن والعشرين من القصيدة - بحسب الديوان المعتمد - إذ قال فيه[77]:

بـكـيـتُ لـرســـمِ الـدارِ مـنْ عـرفـاتِ و أذْرَيـتُ دمـــــــعَ العـينِ بـالـعَبَرات

وبه يستوقف المتلقي ليعود معه إلى البكاء، وبهذا التكرار في التصريع إنما يمنح قصيدته إمكانيات تعبيرية تدعم معانيه، التي يريد إيصالها إلى المتلقي، فضلًا عن الإنسياب الإيقاعي الذي أوجده التصريع، وحرف العين المتكرر من العروض حتى القافية، في الألفاظ (عرفات، دمع، العين، العبرات).

جسد تصريعاه تناغمًا لفظيًّا، أحدث اهتزازاً لا إرادي لمشاعر المتلقي وأحاسيسه، وبه يستلفته، ويحاول أنْ يُشعره بأنّ هذه المعاناة التي يعانيها دعبل معاناة عامة، لأنها قضية عامة وليست خاصة، وهذا ما أعلنه في مقطع القصيدة - أي آخرها - وهو ما استحسنه النقاد، بأنْ يكون آخرها أدخل في المعنى، الذي قصد له الشاعر في نظم القصيدة [78]، لأنّه آخر ما يظفر به القلب ويبقى في الأذن، إذ يقول[79]:

أحـاول نقـلَ الشَّـــمسِ من مُسْـــتقرّهـا و إســـمـاعَ أحـجـارٍ مـن الصَّـــلَـدّاتِ

---

[65]- الأدب العباسي، الشعر، 175.
[66]- المصدر نفسه، 174.
[67]- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، 1428هـ - 2007م، 92/2.
[68]- المصدر نفسه، 2/ 94.
[69]- نفسه، 95/2.
[70]- يُنظر: نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط1، 1426هـ 2006م، 90.
[71]- المصدر نفسه، 75.
[72]- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، 157/1.
[73]- ديوان دعبل، 124.
[74]- يُنظر: قراءة النص الشعري الجاهلي، 131.
[75]- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، 1/ 156.
[76]- المصدر نفسه، 94/2.
[77]- ديوان دعبل، 131.
[78]- يُنظر: كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط1427،1هـ - 2006م، 411، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، 1/ 193.
[79]- ديوان دعبل، 145.

فَمن عـارِفٍ لم يَنْتَفِعْ و مُعـانِـــــــــدٍ يـمـيـلُ مـعَ الأهْواءِ و الشَّـــهَـــــواتِ

قُصـــــارَايَ مـنـهـمْ أنْ أعُوبَ بِـغُصّـــةٍ تَرَدّدُ بينَ الصّـــــــدرِ و اللّهَـــــوَاتِ.

إنّه يحاول استنهاض الناس ولكن بدون فائدة.

ومن توازناته الموسيقية التي صنعها الشاعر يأتي في التصدير[80]:

على العَرَصـــــاتِ الخـالِيـاتِ من المهـا ســـلامُ شـــجٍ صـــبٍّ على العَرَصـــاتِ

إنّ هذا الرابط البنائي الذي أقامه الشاعر من خلال التصدير، يكون قد أحاط بفكر المتلقي وخياله، وجعله يحوم حول الفكرة، فما إنْ ينتهي من البيت حتى يعود إلى صدره، وبهذا التصدير منح البيت قدرة على شد انتباه المتلقي ومشاركته وجدانيًّا، فضلًا عن البناء الموسيقي المتناغم مع الحالة الشعورية الناتجة من حالة البكاء التي يعيشها.

فالشاعر يبكي الديار الخالية من أهلها قسرًا، فما ينفك يذكرها، من نحو قوله:

مـــدارسُ آياتٍ خـــلت مـــن تـــلاوةٍ ومـــنزلُ وحيٍ مُقفـــرُ العـــرصـــاتِ

لآلِ رســـولِ اللهِ بـالخَيْـــفِ من مِنىً وبالرُّكـــنِ و التعـــريفِ والجمـــراتِ

ديـــار عـــلـــيّ والحســـينِ و جـعـفـــرٍ و حمـــزةَ و الســـجّـــاد ذي الـــثّـــفِـنـاتِ

منـــازلُ وحيُ اللهِ يـــنـــزِلُ بـــيـــنـهـــا على أحمدَ المذكورِ في الســـــــوراتِ

مَـنـــازِلُ قـــومٍ يُهْتـــدَى بِهُـــداهُـــمُ فـتُـــؤْمَـنُ مِـنهُـــمْ زلّـــةُ العَـــثَراتِ

مـنـــازلُ كانتْ للصـــلاةِ و للـتّـــقـــى و للصّـــومِ و التّطْهـــيرِ والحَـــسَنـاتِ

منـــازِلُ جـبـــريلُ الأمـــينُ يَحـلّـــهـا مـن اللهِ بالتّـسْـلِيـم والـــرَّحَـمَـــاتِ

مـــنـــازِلُ وَحْيُ اللهِ مَعـــدنِ عِـــلْمـــهِ سَـبـيـلِ رَشَـــادٍ واضِـحِ الطّـرُقـــاتِ

إنّه يستحضر الأطلال من خلال سرد الشعائر الدينية التي سار بها الأحبة من آل البيت، فضلًا عن ذكر منازلهم وأماكن نزول الوحي، وكذلك أماكن صلواتهم وتعبدهم في مشهد بكائي.

إنّه يحاول تذكير المتلقي الذي كاد ينسى قضية آل البيت، وهي القضية الأساس التي تتمحور حولها الأبيات، لهذا يستلفت المتلقي إليها من خلال تكرار كلمة (منازل) التي صدّر بها الأبيات، والتي تتوجه نحوها دلاليًّا بقية التراكيب النحوية في الأبيات، التي جاءت بيانًا وصفاتًا لها، وهذا يظهر قدرة الشاعر على توكيد المعاني، التي يريد منحها للمنازل، وكذا قدرته على شد انتباه المتلقي إليها لتحدث المشاركة الوجدانية التي يريد تحقيقها من النسق التكراري الذي استثمره في الأبيات. وقال أيضًا[81]:

بَناتُ زيادٍ فِي القُصُـــــورِ مَصُـــــونة و آل رسُـــــــولِ اللهِ في الفَلَـــــواتِ

ســـأبْكيهِمُ مـا ذَرّ في الأرض شـــارِقٌ و نادَى منادِي الخـــيْرِ بالصّـلـــــــواتِ

انطلق دعبل الخزاعي في تائيته من نفسية متألمة، بكى ماضي آل البيت وحاضرهم، بل ويبكي المستقبل، فالشاعر مشحون بحبّ آل البيت، وغاضب على من تسبب في بؤسهم، هذه هي محنة الشاعر التي يحاول تصويرها وتجسيدها في شعره، يبرز ذلك واضحًا في البيتين السابقين، إذ عقد مقابلة جسّد فيها مفارقة تدل على استنكاره، وتشي بتألمه وأساه تجاه ما أصاب آل البيت من مِحَن؛ لذا سيظل يبكيهم العمر كله معنى أشاعه البيت الذي يليه. ثمّ يعود إلى مقابلاته لدعم فكرته وإشاعة المعاني المرادفة لمعناه السابق، إذ قال[82]:

ديـارُ رســـولِ اللهِ أصْـــبَحن بـلـقـعًـا و آلُ زيـادٍ تَسـكُنُ الحُجـــراتِ

وآلُ رســـولِ اللهِ تـدْمَـى نُـحُـورَهُـمْ و آلُ زيادٍ آمنـــوا السَّـــرَباتِ

وآلُ رســـولِ اللهِ تُسْـــبَـى حَـرِيـمُـهـمْ و آلُ زيادٍ رَبَّـــةَ الحَـــجَـــلاتِ

(80)- المصدر نفسه، 125.
(81)- نفسه، 142..
(82)- نفسه، الصفحة نفسها.

اعتمد الشاعر في تصوير موقفه ورغبته المحمومة في بكاء أل البيت بنية التوازي القائمة على التكرار، يعززها الشكل البلاغي القائم على التقابلات ذات الدلالة النفسية، تلك المقابلات التي أنشأها لدعم المعنى وتثبيته في ذهن المتلقي الغافل أو المتغافل كما أشار هو إلى ذلك في آخر القصيدة. فقد عقد الشاعر توازيات أفقية معتمدًا فيها على المقابلة، وتوازيات عمودية قائمة على التكرار، مما يعمّق البعد المعنوي ويرفد البيت بموسيقى لها إيقاعات متساوية، وهنا "يُصبح التوازي عنصرًا قادرًا على أنْ يُنمي الإحساس بالفاجعة، ويمنح الأبيات بعدًا ترابطيًّا تلاحميًّا؛ إذ يُكسبها بعدًا موسيقيًّا يقصد إليه وعي المبدع"[83]، لتأكيد المعنى وتعميقه، وللتأثير في وجدان المتلقي.

لم يوظّف الشاعر التكرار في تجسيد معاني الحزن والأسى فقط، إنّما في تصوير حالة الغضب أيضًا، من نحو قوله في إبراهيم بن المهدي لما بويع خليفة[84]:

إنْ كانَ إبراهيـــــمُ مُضـــطَلِعًا بِهـــــا فَلْتَصْـــلَحَـــــنْ من بعـــــدِه لِمُخارقِ

ولْتَصْـــلَحَـــــنْ من بعـد ذاكَ لزَلزَلٍ و لْتَصْلَحَنْ من بعـــــدِهِ للمَـــــــارقِ

أنى يكـــــــــونُ و ليسَ ذاكَ بكـائِنٍ يـــرِثُ الخلافـــةَ فاسِـــقٌ عن فاسِـــقِ

فضلًا عن اختزال الأبيات غضب الشاعر، لما صارت إليه حال الأمّة الإسلامية بأنْ يحكمها مغنٍ، فهي تشي بالسخرية والتهكم عليها.

فتكراره لقوله (لْتَصْلُحَنْ) بصيغة الفعل المؤكد باللام والنون، وكأنّه لا يشد انتباه المتلقي فحسب، وإنّما يريد توبيخه وتقريعه لينظر إلى ما صارت إليه الأمّة بعد تولي بني العباس الحكم.

إذا كان التكرار في تائية دعبل، قد جسد حزنه، فإنّ التكرار في قصيدة الهجاء هنا قد جسد الغضب والتهكم، وهذا من المواضع التي يُستحسن فيها التكرار عند بعض النقاد، وهو أنْ يقع "على سبيل الازدراء والتهكّم والتنقيص"[85].

الخاتمـــة:

وختامًا يمكننا القول إنّ هجاء دعبل كان ذا طابع سياسي؛ إذ تخصص في هجاء خلفاء بني العباس[86]، خصوم آل البيت سياسيًّا، ولم يكن هجاؤه ذا طابع شخصي، أو كما يقولون هجّاءٌ بالفطرة، إنما كان هجاؤه من باب الدفاع عن قضية أل البيت التي حملها على عاتقه؛ إذ "التزم بحب آل البيت، وصور بشعره موقفًا سياسيًّا، فيه تمجيد لآل البيت، ووصف أحوالهم المحزنة، وما لحق بهم من ظلم"[87]. وبعد الدراسة والقراءة يمكن سرد بضع نتائج منها:

1- التزم دعبل الخزاعي بحبه لآل البيت ومدحهم ورثائهم.

2- كان شاعرًا جريئًا على الخلفاء، ولا يخاف من سلطانهم أو نفوذهم.

3- كان هجاءه لاذعاً ناقداً، يُعبر عن موقف سياسي، لا خبيث اللسان بالفطرة.

4- جعل من حبِّ آل البيت قضية سياسية حمّلها شعره.

5- استثمر الشاعر وظيفة الأطلال لتصوير مشاعره، فجاءت تائيته الشهيرة كلها بكائيات.

6- اتكأ على التوازنات الموسيقية القائمة على التكرار؛ ليرفد معناه ويؤكده، بل ويعمّقه.

المصادر والمراجع:

[1] **الأدب العباسي، الشعر**، د. سامي يوسف أبو زيد، دار المسيرة، عمّان، ط1، 1432هـ - 2011م.

[2] **تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول**، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط8، 318 (د.ت).

[3] **التاريخ الإسلامي، الدولة العباسية**، محمود شاكر، المكتب الإسلامي، بيروت، 1421هـ - 2000م، ط6.

[4] **تاريخ الأدب العربي**، حنّا فاخوري، دار اليوسف، بيروت، (د. ط)، (د.ت).

[5] **ديوان امرئ القيس**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط4، (د.ت).

[6] **ديوان دعبل بن علي الخزاعي**، تحقيق: عبد الصاحب عمران الدجيلي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 2، (د.ت).

[7] **الشعر والشعراء في العصر العباسي**، د.مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت، ط6، 1986م.

[8] **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، 1428هـ.

[83]- قراءة النص الشعري الجاهلي، 132.
[84]- ديوان دعبل، 244.
[85]- العمدة، 95/2.
[86]- يُنظر: الشعر والشعراء في العصر العباسي، 327.
[87]- الأدب العباسي، الشعر، 173.

[9] **قراءة النص الشعري الجاهلي**، د. موسى ربابعة، مؤسسة حمادة ودار الكندي، الإربد، (د.ط)، 1998م.

[10] **كتاب الأغاني**، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق: د. إحسان عباس، د. إبراهيم السّعافين، الأستاذ. بكر عباس، دار صادر، بيروت، ط3، 1429هـ - 2008م.

[11] **كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر**، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1427 - 2006م.

[12] **موسوعة شعراء العرب**، د. يحي شامي، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1996م.

[13] **نقد الشعر**، قدامة بن جعفر، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط 1، 1426هـ 2006م.

الدوريات:

[14] **شعر دعبل الخزاعي بين توهّج العاطفة وعمق الانتماء**، د. ستار عبدالله جاسم، مجلة مركز دراسات الكوفة، مجلة فصلية محكّمة، العدد 83، 2015م.

RESEARCH ARTICLE

THE ARGUMENT OF PATHES AND DISPARAGEMENT IN DOABAL AL-KHOZAY POETRY

Nora Ali Yslam Sahran [1,*], Awadh Ahmed Hasan Alalqami [2]

[1] *Department of Arabic language, Faculty of Education - Sabr, University of Aden, Aden, Yemen*
[2] *Department of Arabic language, Faculty of Education-Toor Albaha, University of Aden*

***Corresponding author: Nora Ali Yslam Sahran; E-mail: awadh.alalqami@gmail.com**

Received: 04 October 2020 / Accepted: 23 November 2020 / Published online: 31 December 2020

Abstract

Doabal Alkhozay is related to the Yemeni Khouzaa tribe which is known to its loyalty to islam and our prophet Muhammad peace be upon him and AAL-albeit, so he grew up loving AAL-albeit and he wrote many poems, the most famous poem of them was ALTaeiya ALkubra. He described in it the actions and disasters that happened to AAL-albeit because of their cousin from bni AAL-Abas. Thus many of his poems were in AAl-albeit compliment and satire his opponents.

Keywords: Pathes, Disparagement, AAl-albeit, AAL-alabas.

كيفية الاقتباس من هذا البحث:

صحران، ن. ع. ي.، & العلقمي، ع. أ. ح. (2020). جدلية البكاء والهجاء في شعر دعبل الخزاعي. *مجلّة جامعة عدن الإلكترونيّة للعلوم الانسانيّة والاجتماعية*، *1*(4)، 304-314. https://doi.org/10.47372/ejua-hs.2020.4.63

حقوق النشـــر © 2020 من قبل المؤلفين. المرخص لها EJUA، عدن، اليمن. هذه المقالة عبارة عن مقال مفتوح الوصول يتم توزيعه بموجب شروط وأحكام ترخيص Creative Commons Attribution (CC BY-NC 4.0).